

الفصل الثالث

الإعداد

الإعداد

ترتبط الخطوة التالية لعملية كتابة التقارير، أي الإعداد، بشكل وثيق بعملية اختيار الموضوع. غالباً ما تبدأ مرحلة الإعداد حين يتساءل معدو التقارير عن المواضيع المثيرة للإهتمام من أجل تغطيتها. بعد ذلك، يبدأ معدو التقرير بالتفكير بموضوعهم من الناحية التحليلية والنقدية ويشارون بوضعه ضمن إطار خاص. تضع مرحلة الإعداد حجر الأساس للقصة، وذلك بطرق مختلفة، منها عبر الأبحاث الكتابية والمطالعات، والتحضير للمقابلات، وقضية الوقت في الأماكن المرتبطة بالقصة وفي المناطق المجاورة لها.

وفي رأي الطالبة والكاتبة في فرنسا شهرزاد سراج: «الأمر الأساسي هو الإصغاء للأشخاص والمطالعة عن الموضوع. إذا كنت تريد أن تطرح أسئلة عن الهجرة، عليك أن تكون مطلعاً عليها بصورة مسبقة».

يرى العديد أنه من البديهي أن يبحث معدو التقارير عن المواضيع التي يتناولونها، لكن الأمر لا يقتصر على القيام بالمطالعات، بل يشمل طبيعة هذه المطالعات.

يقول عمر سعادة، منتج الأفلام لدى منظمة غير حكومية تُعنى باللاجئين، أنه يلتقي في أغلب الأحيان بأشخاص من الخارج، من زائرين للمنظمة كما صحفيين، يحضرون مع بعض القنوات المسبقة: «إن نوعية الأسئلة التي يطرحونها هي عادية وتؤدي إلى تشابه في مُط القصص»، ويعزو سعادة سبب هذا السلوك إلى عدم اجراء البحث عن الموضوع من قبلهم، والاكتفاء بأفكارهم المسبقة عن الموضوع: «لقد أتوا وفي ذهنهم صورة مسبقة عن البلاد، ولم يأتوا بنية اكتشاف أي جديد ههنا».

ويقول سميح محمود من منصة كامبجي التصويرية أن معدو التقارير الذين يأتون من خارج المخيمات تنقصهم غالباً المعرفة: «لا يقومون بأبحاث عميقة مسبقاً، ما لم يكونوا من الصحفيين الذين يمضون وقتاً في المنطقة من أجل اكتشافها قبل كتابة قصصهم».

لكن البعض يستند إلى مصادر ومعلومات مكتوبة من منظر خارجي، فيجري إذاً البحث من مراقبة خارجية للداخل. وهذا، في رأيه، هو نتيجة مشكلة أكبر تتخطى معدو التقارير أنفسهم: «الأمر يعود إلى عدم وجود مصادر كافية لدى المخيمات، وسكانها، عن طبيعة الحياة فيها».

قد يكون من السهل على الصحفيين ومعدو القصص عن الإغتراب أن يلجئوا إلى مصادر متاحة على نطاق واسع ومنشورة في مراجع ومؤسسات معروفة. وهذا ليس بخطأ، فهم غالباً مطلعون جيداً ومتفهمون مع الأشخاص. لكن الآراء المحلية المستمدة من هؤلاء الأشخاص غالباً مفقودة في هذه المنشورات. وفي حال وُجدت، فهي غالباً آراء «خارجية»، من كتاب يأتون من فئة الأثرياء أو من مناطق في الغرب، وليست آراءً من عند اللاجئين ومن المجتمعات النازحة.

إذا ما استند معدو التقارير فقط على هذه القراءات، سيفتقرون إلى جوانب مهمة من القصة. لذلك، يتطلب الإعداد الجيد للقصة النظر إلى أبعد مما تراه العين. هذا يشمل الإطلاع على منشورات وأفلام محلية، حتى لو أدى الأمر إلى زيادة في أوقات البحث (وغالباً أوقات الترجمة أيضاً). إن هذه المنشورات قد تكون مقالات صحفية محلية، دواوين شعر، قصص قصيرة، تدوينات صوتية، ومواضيع منشورة على مواقع التواصل الاجتماعي.

وتحدثت سراج عن أهمية تجاوز التغطية التقليدية: «لا شك أن وسائل الإعلام العادية هي مصادر نافعة، غير أنه يجب أيضاً قراءة المدونات، والمنصات الصغيرة الأخرى، خاصة إذا شئنا أن نفهم كيف يعيش الناس. إذا شئنا الكتابة عن جماعة معينة، يجب أن نقرأ ما يكتبه أفراد من هذه الجماعة»، وترى سراج أن وسائل التواصل الاجتماعي قد تكون نافعة من أجل فهم أفضل لحياة الغير، فتتابع بالقول: «تسهل هذه الوسائل اكتشاف أمور جديدة وافتتاح الفكر. فحتى لو لم تكن صديقاً مع أحدهم، يمكنك متابعة ما يكتب. فأنا أتعلم الكثير عن واقع الأشخاص بهذه الطريقة».



بالنسبة إلى لور مكارم الذي يعمل مع العاملات الأجنبية في حركة مناهضة العنصرية في لبنان، إن البحث يؤثر في نوعية العلاقات التي ستربط الصحفيين وغيرهم من معدو التقارير مع الأشخاص الذين يقابلونهم من أجل تقاريرهم.

«وخير مثال هو إحداهن ممن طالعت كثيراً حتى تنبّهت إلى أن المعلومات في هذا المجال غير محدودة، فأرادت الإضافة إلى المراجع المتوفرة، وهذا أمر ممتع، فهي لم تأت بنظرة مسبقة عمّن تريد مقابلتهم، وهو عادةً ما يحصل. فالناس تأتي وتقول: «أريد فتاةً عانت من الإتجار بالبشر» أو «أريد مقابلة جماعة الفيليبينيات»، أما تلك الصحافية فلم تفعل هذا الأمر».

وشرح مكارم كيف يتعاون معدو التقارير والجمعيات الإنسانية في إنتاج القصص عن الهجرة. فحين يقوم معدو التقارير بتصوير أماكن لا يعرفونها، تعتمد التحضيرات على مصادر الجمعيات العاملة في هذه المناطق وعلاقتها الخاصة. وتكون المنافع متبادلة، فمن جهة يحظى معدو التقارير بالوصول إلى

«الأمر
يعود إلى عدم
وجود مصادر كافية لدى
المخيمات، وسكانها، عن
طبيعة الحياة فيها».

أماكن غير مألوفة منهم، ومن جهة أخرى تحظى المنظمات بتغطية إعلامية لمساكن تعمل عليها.

ومع ذلك، قد يحصل أحياناً شرح بين معدّي التقارير والأشخاص الذين يتناولهم التقرير. فبحسب مكارم: «قد يغفل الصحفيون والمراسلون ميزان القوى في علاقتهم مع الأشخاص الذين يتناولونهم، فهم لا يهتمون بهؤلاء الأشخاص إلا بحدود جمع المعلومات وإعداد قصة لموضوعهم. فتكون حينها العلاقة أحادية الجانب، وتجارية».

«قد
يغفل الصحفيون
والمراسلون ميزان القوى
في علاقتهم مع الأشخاص
الذين يتناولونهم.»

تذكرت ضحى قاضي من منظمة سوي للتنمية والإغاثة إحدى الحالات التي كان فيها الإعداد جيداً إلى حدّ أنه أتى بنتيجة مثمرة: «لقد صوّنا سلسلة من الشهادات لأشخاص تضرّروا في الحرب اللبنانية أو في حوادث في لبنان. وكان الأمر معقّداً للغاية، ومريعاً، لأنه لا يمكن جرّ هؤلاء الأشخاص إلى الكلام دون أن يعيشوا الصدمة مجدّداً».

لقد عملت قاضي حينها مع عاملة اجتماع وأمضت وقتاً هائلاً في شرح غاية التقرير للأشخاص المحتمل مقابلتهم. «إن إيجاد الأشخاص كان صعباً، فقط ثلاثة من أصل ثلاثين شخصاً أرادوا التحدّث إلينا. لكنهم كانوا بغاية الإيجابية ما سهّل علينا الأمر، وصعبه في نفس الوقت إذ كان علينا أن نحترم أيضاً هؤلاء الأشخاص واندفاعهم».



غالباً ما تعتمد القدرة على الإعداد على معايير عدّة كالوقت والمصادر المتاحة لمعدّ التقرير وكلا المعيارين ليسا بغير محدودين، لذا يجب تحديد الخيارات والأولويات.

وقالت ريان سكر من «كامبجي» أنها لو أعطيت الخيار، لما أعدت تقارير في مناطق لا تعرفها. «أفضل الحديث مع شخص من منطقتي» كما تقول، «إذ إن المجال متاح دائماً للإعداد حتى خلال مهل قصيرة. لا أعتقد أنّ عذر الوقت هو عذر سديد، فمن السهل إجراء الأبحاث في أيامنا هذه، ثمة معلومات متوافرة في الجماعة، كما ثمة وسائل التكنولوجيا. يمكنك إرسال رسائل صوتية طويلة، أو الحديث على الهاتف، كما التقرب من الشخص الذي ستقابله، والإطلاع على صفحته على فيسبوك لمعرفة اهتماماته. وإلا، فلنعمل على قصص يمكنك الوصول إليها من منطقتك».

ومع ذلك، يبقى الصحفيون ومعدّو التقارير في المنظمات رهن القوى والسلطات التي تحكم مؤسساتهم. فالقرارات يتخذها المنتجون وكبار المحرّرين في غرف الأخبار، فيما يقدّم المالكون الموارد المالية. في نهاية المطاف، تعتمد المنظمات غير الحكومية على الممولين الذين غالباً ما يعيشون بعيداً. ويتفهم مكارم من حركة مناهضة العنصرية موقف الصحفيين الذين يُطلَب منهم تناول مواضيع لم يختاروها

بأنفسهم، وتقدمة تقريرهم خلال مهلة خمسة أيام. فيقول: «من المعيب القول لهم أنّنا نرفض العمل معهم أو أن يذهبوا إلى منظمة أخرى لمقابلة عاملة أجنبية فيها وإحداث ضرر في غير مؤسستنا».

ويتابع مكارم: «عوضاً عن ذلك، يمكننا كمنظمات أن نطلب من الصحافيين إطلاعنا مسبقاً على غايتهم، وعلى موضوعهم الأساسي، وعلى أسئلة المقابلات، ومعاييرهم الأدبية والتفاصيل التي ستُنشر. إنّ هذا الإجراء هو اختبار شخصي للصحافيين، إذ يبنّهم إلى مسؤوليتهم عن القصة».

لكلّ من يعدّ التقارير عن الهجرة، إنّ مرحلة الإعداد هي لوضع التصميم. ففي هذه المرحلة يظهر توجه القصة، والنمط الذي ستسري عليه منذ ذلك الحين.

إنّ عوائق الوقت والمصادر هي عوائق فعلية، لذا يُلزم بعض الصحافيين بالتوقّف عن بحثهم قبل معاينة الموضوع من الزوايا كافة.

ومع ذلك، وبحسب العديد من المشاركين في ورشة العمل، ثمة العديد من الأساليب التي يمكن أن يلجأ إليها الصحافي من أجل أن، وكما قالت سكر من «كامبجي»، «من أجل ألا يأتي على غفلة، ويترك الباب، ويقول لأحدهم: «اريد مقابلتك عن هذا الأمر أو ذلك».

إذا طغى الصدق والشفافية على مرحلة إعداد القصة، لا بدّ أن يتجلى هذا الأمر في القصة التي يتمّ إعدادها.

الأسئلة في هذا الفصل:

ما هي الأبحاث حول الهجرة التي يقوم بها الرواة عادة؟

كيف يمكن للرواة التحضير من أجل تغطية أفضل وأكثر تنوعاً؟

ما هي بعض الوسائل التي تسمح بأبحاث وتحضيرات أكثر محلية؟